طـــريق الســـعادة

لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

إمام وخطيب مسجد قباء والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

غفر الله له ولوالديه ومشايخه و المسلمين

٢٤/ جمادى الأولى / ١٤٤٢هـ

الخطبة الأولى

الحمد الله الحمد لله المبدئ المعيد، ذي العرش المجيد، هو الرقيب الشهيد، قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه يقلبها كما يريد، من أحبه وكان معه هو السعيد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له حقه على عباده التوحيد، وتوحيده جنة في الدنيا من دخلها دخل جنة الآخرة وله المزيد، يبعث عباده يوم القيامة فمنهم شقي وسعيد، وأشهد أن مُحَمَّداً نبيه ورسوله، عبدُ الله وسيد العبيد، ﷺ صلاةً وسلاماً دائمين مزيدين ما تعاقب الجديد والجديد، ورضي الله عن آله وأصحابه أهل التقى والحال الرشيد، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. [الحشر:١٨]

واعلموا أن دنياكم مهما طالت قصيرة، وأن متاعاها مهما كثُر قليل، فلا يغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور.

أما بعد:

فيا عباد الله، إن طلب السعادة أمر فُطِرَ عليه الإنسان، فيطلبها المؤمن والكافر، والبَرُ والفاجر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير، وقد تنوعت طرق الناس في طلب السعادة، فمن الناس من ظن أن السعادة في الأسفار، والتنقل بين الأمصار، فيضل طول عمره ينتقل من بلد إلى بلد، لا تنهى به زوجٌ ولا ولد، لا غرض له من السفر

سوى طلب السعادة، وما يدري المسكين أنه يتنقل في قِطَع العذاب يقول النبي ﷺ: ((السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه، ونومه فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله)).

ومن الناس من ظن أن السعادة في تكثير الأموال والأولاد، فينغمس في ذلك، ويلهو بذلك عن ذكر الله، وعن بقية دنياه، ويغفل عن قول ربنا سبحانه وتعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. [المنافقون:٩]

فيضل لاهياً بذلك حتى يزور قبره كما قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ- حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ - كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ - ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. [التكاثر:١-٤]

ومن الناس من ظن أن السعادة في أن يتبع نفسه هواها ويعطيها مشتهاها، فالحلال عنده ما طلبته نفسه، فينغمس في المعاصي، فإذا فعل المعصية لا يجد سعادة، بل تضيق نفسه، وتحرقه نار المعصية، فيطلب اطفائها بمعصية أخرى، فيتنقل بين المعاصي، حتى تَرِينَ على قلبه، فيعيش شقياً، ويموت شقياً، ويبعث شقياً.

ومن الناس من أيس من حصول السعادة، وظن أن السعادة وهم منشود، ومطلب مفقود غير موجود، وما درى أولئك المساكين أن السعادة موجودة.

إن السعادة يا عباد الله سكينة وطمأنينة يجعلها الله عز وجل في عباده أهل التقوى التي أمر الله بها الأولين والآخرين، يقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ﴾. [النساء:١٣١]

ويقول سبحانه ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء ﴾. [النساء:١]

وكيف لا يكون المتقي سعيداً يا عباد الله والله معه والله يحبه، الله يحفظه، الله يوفقه، الله يدافع عنه، ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١٩٤]، ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٤]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾. [الحج:٣٨]

كيف لا يكون المتقي سعيداً يا عباد الله والله عز وجل يجعل له المخارج من المضايق يقول الله عز وجل ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا- وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٢-٣]، ويقول سبحانه ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾. [الطلاق:٤]

وجِماعُ التقوى يا عباد الله التي بها السعادة والهناءة والقناعة والأمن والأمان، وطِيب الحياة أمور أربعة:

أولها: توحيد الله عز وجل، والبراءة من الشرك، فمن وحد الله وكفر بالطاغوت وبرء من الشرك، جعل الله عز وجل له الأمن النفسي ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾. [الأنعام:٨٢]

فالذين أمنوا بالله ووحدوا الله عز وجل، ولم يخلطوا توحيدهم بشرك اولئك لهم الأمن المطلق، لهم الأمن التام، لهم الأمن النفسي الذي يسمى بالسعادة

ثانيها يا عباد الله: صدق النية بأن يعلم الله عز وجل من قلب العبد أنه إنما يريد الأخرة، ومن أراد الآخرة سكن الله نفسه وطمأن قلبه، يقول النبي ﷺ: ((ومن كانت الأخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، واتته الدنيا وهي راغمة)).

ثالثها يا عباد الله: محبة النبي ﷺ التي يصدقها الاتباع يقول الله عز وجل﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. [آل عمران:٣١]

رابعها يا عباد الله: الاجتهاد في طاعة الله، والبعد عن معصية الله سبحانه وتعالى يقول الله عز وجل﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧]، ويقول نبينا ﷺ: ((يقول الله عز وجل: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره التي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)).

فيا عباد الله يا عبد الله يا طالباً للسعادة، إن أردت السعادة فكن مع الله، احفظ الله يحفظك، احفظ الله يحفظك، احفظ الله يحفظك.

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء إلا ما كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا ما كتبه الله عليك، فاتقوا الله عباد الله وعيشوا في سبيل الله تكونوا من المفلحين السعداء.

أقول ما تسمعون، واستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فيا عباد الله، إن مما يزعج القلب ويذهب سكينته وطمأنينته أموراً ثلاثة هي آلام تصيب القلب:

أولها: الحزن على الماضي من المصائب والمعايب، فيحزن العبد على أمور ماضية، من مصائب أصابته، أو معايب فعلها، ويُنَغِصُ حياته بذلك ويلوم نفسه على ذلك، ويكرر لو أني فعلت كذا وكذا، وعلاج ذلك يا عباد الله، إن كان الماضي الذي يحزن من المصائب أن يوقن العبد أن ما كان لا يمكن أن يكون إلا كما كان، ولن يغيره شيء يقول النبي ﷺ: ((فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني عملت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان))، وإن كان الماضي من المعايب والذنوب فإن علاج ذلك يا عباد الله أن يعلم العبد أن الندم توبة، وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأن التوبة تجب ما كان قبلها ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾. [الزمر:٥٣]

ثاني الآلام التي تصيب القلب يا عبد الله، وتذهب سكينته وهناءه، الغم برفض الحاضر وعدم القناعة به، فيصيب القلب غم بسبب ذلك، وعلاج ذلك يا عباد الله أن يدرب الإنسان نفسه على القناعة بما آتاه الله، وأن يعلم أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها يقول النبي ﷺ: ((قد أفلح من أسلم ورزقه الله كفافا، وقنعه بما آتاه)).

ثالث الآلام التي تصيب القلب وتُذهِبُ سكينته واطمئنانه الهموم بالخوف من المستقبل، وعلاج ذلك يا عباد الله أن يحسن العبد ظنه بالله عز وجل، يقول النبي ﷺ: ((يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، أن ظن خير فله، وإن ظن شراً فله)).

ألا فاتقوا الله عبادا الله وجاهدوا أنفسكم لتعيشوا في سبيل الله سبحانه وتعالى، فإن في العيش في سبيل الله سعادتكم في الدنيا والأخرة، واعلموا أنكم أن عشتم في سبيل الله فإن ما فاتكم في الدنيا تجدون خيراً منه وأكرم في الأخرة، فإن آخر رجل يدخل الجنة من أهل النار رجل إذا أَذن الله له أن يدخل الجنة قال الكريم له: تمنى، فيتمنى ويتمنى ويتمنى، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل له: تمنى من كذا وكذا، يذكره ربه حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل له: لك هذا وعشرةُ أمثاله معه.

هذا يا عباد الله أقل أهل الجنة نعيماً، فكيف بمن سبقه إلى الجنة، ألا وإن هذا الثمن عظيم، فعيشوا عباد الله في سبيل الله عز وجل، فإن الموت القريب، إن الموت قريب، وإن الفوز والفلاح عند الله عز وجل للمتقين.

ثم اعلموا رحمني الله وإياكم، أن الله أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، وثنّى فيه بملائكته فقال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

واعلموا عباد الله أنكم لو صليتم على نبيكم ﷺ بعدد أنفاسكم ما قمتم بحقه، وكيف تقومون بحقه وأنتم إذا صليتم عليه واحدة صلى الله عليكم عشراً، وكتب لكم عشر حسنات، وحط عنكم عشر خطيئات، ورفعكم عشر درجات، فاللهم صل وسلم على نبينا مُحَمَّد، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض عنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا، اللهم إنا نسألك العفو والعافية، اللهم إنا نسألك العفو والعافية، اللهم إنا نسألك العفو والعافية.

إلهنا يا كريم إنّا عباد من عبادك قد اجتمعنا في بيتٍ من بيوتك نؤدي فريضة من فرائضك نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهم فاكتب لنا رحمتك، وأمّنا من عذابك يا رب العالمين، اللهم فاغفر لنا ولولدينا وللمسلمين والمسلمات، يا رب العالمين.

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلما كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا، إنك انت الغفور الرحيم، اللهم إنك أعلم بنا منا، وإنّا نفر منك إليك، اللهم فأمّنا، اللهم فأمّنا اللهم فأمّنا، اللهم إنك أعلم بنا منا، اللهم فمن علمته منا مقيماً على معصية اللهم فكرهه فيها، اللهم فكرهه فيها، اللهم فكرهه فيها، ومن علمته منا مقيماً على طاعة فثبته عليها، وزده من فضلك يا رب العالمين، اللهم من علمته منا مريضا، أو علمت أن له مريضا فاشفه يا رب العالمين، اللهم من علمته منا مهموماً فاكشف همه وغمه يا رب العالمين.

اللهم إنّا نعوذ بك من الهم والحُزن، اللهم إنّا نعوذ بك من الهم والحُزن، اللهم إنّا نعوذ بك من الهم والحُزن، اللهم أقر أعيننا بوحدة الأمة، وظهور التوحيد فيها، وانكسار البدع ورايتها يا رب العالمين.

اللهم ارزق المؤمنين والمؤمنات أمناً وسلاما، وسكينة وطمأنينة يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الأخرة حسنة وقنا عذاب النار، والله تعالى أعلى وأعلم وصلى الله على نبينا وسلم.

ألقيت يوم الجمعة الرابع والعشرين من جمادى الأولى

سنة اثنين وأربعين بعد الأربعمائة والألف

بجامع قباء بالمدينة المنورة